

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح أغاليط

سلفية شنقيط

بقلم

حسن بن علي السقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين،
ورضى الله عن أصحابه، وبعد: فهذا جوابٌ وَرَدٌ صنعناه لتزييف ما نشره بعضهم في البلاد
المغربية الموريتانية لصرف الناس عن العقيدة الأشعرية إلى عقيدة الوهابية المُلبَّسة
ببعض الآيات الكريمة التي لا يراد منها ظاهرها وبعض الأحاديث النبوية الشريفة التي
اختلف رواتها في ألفاظها وزاد بعضهم ما روه بالمعنى منها، وهؤلاء يريدون أن يلبسوا
على السادة المالكية ويثبتوا لهم من بعض أقوال علماء المالكية المتقدمين أنهم كانوا على
عقائد السلفية الوهابية وليسوا على العقيدة الأشعرية التي مشى عليها الناس في معاهدهم
ومحاضرتهم وكتاتيبهم وجامعاتهم ومدارسهم. وهذا أوان الشروع في المقصود وبالله
تعالى التوفيق:

قال المخالف:

[إثبات علو الواحد القهار من كتب المالكية الأخيار)... وبعد: فهذه نقول من كتب المالكية تدل على أن المذهب
مؤسس أصلاً على اتباع السلف ونبذ ما أحدثه المتأخرون من علم الكلام الذي جرهم إلى إنكار صفة العلو لله عز وجل
التي دلت عليها الفطرة وعشرات الآيات والأحاديث].

أقول: في هذه الفقرة عدة أفكار لا بد من نقضها وهي:

١ - لا بد من بيان أن هناك فرقة قديمة من المالكية كانت تجنح إلى القول بالجهة والتشبيه.
وأما جماهير علماء المالكية فهم من أهل التنزيه ومن الأشاعرة، ويكفي أن الإمام مالكا
رحمه الله تعالى كان من أئمة التنزيه ومن الناهين عن رواية أحاديث الصفات والرادين
على أهل الشبهات، وهناك فرقة قديمة من بعض المالكية كانوا من القائلين بالجهة

والمنحرفين عن التنزيه مثل: ابن خويز منداد، وابن أبي زمنين، وأبو عمرو الداني، والطمنكي، وابن رشد الحفيد، وابن عبد البر، لا بُدَّ من بيان حالهم، والتنبه والحذر مما يقولونه، وأعدلهم ابن عبد البر مع أخطاء في عبارات قالها. ومن أسوأ ما نقل عن هؤلاء مما يدل على حقيقة توجههم الفكري قول أبي عمرو الداني في منظومته التي في القراءات المسماة "المنبهة":

وامح الذي في الكتب والصحيفة	من قول ذي الرأي أبي حنيفة
وصحبه إذ خالفوا التنزيلا	وخالفوا في حكمه الرسولا

ثم ذكر المعتزلة بأقبح وصف ثم قال جامعاً الكل:

جميعهم قد غالط الجهالا	وأظهر البدع والضلالا
وعد ذاك شرعة ودينا	فمنهم لله قد برينا

ثم قال:

ومن صريح السنة الإقرار	بكل ما صحت به الآثار
فمن صحيح ما أتى به الأثر	وشاع في الناس قديماً وانتشر
نزول ربنا بلا امتراء	في كل ليلة إلى السماء

فهذا يكشف لنا حقيقة أبي عمرو الداني ومبلغه من التخبط.

وأما الطمنكي فقد قال فيه الذهبي وهو من هو في مناصرته لهم وذلك في ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ٥٦٩): [رأيت له كتاباً في السُّنة في مجلدين عامته جيد، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبداً مثل: باب الجنب لله، وذكر فيه: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ فهذه زلة عالم...].

٢- لا بد من بيان أن الفطرة ليست من الأدلة الشرعية، وليس في شيء من كتب الأصول المعتمدة أن الفطرة من جملة أدلة الشريعة، وماذا يقصدون بالفطرة؟ وقد تكلمت على موضوع الفطرة مطولاً في شرحي على "العقيدة الطحاوية"^(١). وفندت جميع استدلالاتهم

(١) الصفحات (١٩٦-٢٠٠) و (٦٠٥-٦١٣) من الطبعة الثالثة والرابعة

في هذا الموضوع.

٣- أن نصوص الآيات الكريمة لا تفيد هذه العقيدة التي يتبناها هؤلاء المجسمة والمشبهة من القول بالظواهر المستحيلة في حق الله تعالى، وأما الأحاديث ففيها الصحيح والضعيف والشاذ والمنكر والمردود والموضوع والواهني، وما صح منها عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلص من شائبة أن يكون من جملة الإسرائيليات فليس فيه شيء من التشبيه والتجسيم وإثبات الأعضاء لله تعالى، وإنما تلك النصوص واضحة المعنى في لسان العرب حسب ما في اللغة من مجاز واستعارات ونحو ذلك.

٤- وأما العلو الحسي أي دعواهم أن الله تعالى في مكان أو في منطقة فوق العرش أو في السماء فهذا مستحيل في حقه تعالى لأنه غني عن كل ما سواه غير مفتقر إلى ذلك المكان ولا لغيره، ﴿إن الله هو الغني الحميد﴾ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾.

الإمام مالك رحمه الله تعالى منزله وكان ضد التجسيم والمجسمة:

بيان أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى كان منزهاً ضد عقيدة التجسيم والتشبيه التي يسميها هؤلاء الوهابية بعقيدة السلف! مع بيان اختلاف السلف في فهم العقيدة والفقه لاختلافهم في فهم نصوص الكتاب والسنة، واختلافهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها واختلافهم في توثيق الرجال وجرحهم.

والمقصود هنا بيان أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى كان من جملة الأئمة المنزهين لله تعالى الناهين عن التحديث بما يسمونه بأحاديث الصفات.

وإليكم بعض ما يثبت ذلك:

قال ابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ) في "التمهيد" (١٤٣/٧-١٤٤) عند كلامه على حديث النزول:

[وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ تَنَزَّلَ رَحْمَتُهُ وَقَضَاؤُهُ بِالْعَفْوِ
وَالِاسْتِجَابَةِ وَذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، أَيْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلِذَلِكَ مَا
جَاءَ فِيهِ التَّرْغِيبُ فِي الدُّعَاءِ... وَقَالَ آخَرُونَ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ. أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ أَبَاهُ
أَخْبَرَهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ بِمِصْرَ قَالَ سَمِعْتُ
نُعَيْمَ بْنَ حَمَادٍ يَقُولُ: حَدِيثُ النَّزُولِ يَرُدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ قَوْلُهُمْ. قَالَ: وَقَالَ نُعَيْمٌ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ
وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لِأَنَّ هَذَا
كَيْفِيَّةٌ وَهُمْ يَفْرَعُونَ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا فِيمَا يُحَاطُ بِهِ عَيْنًا وَقَدْ جَلَّ اللَّهُ وَتَعَالَى عَنْ
ذَلِكَ].

لاحظ أن ابن عبد البر هنا أقر القول المنقول المشهور عن الإمام مالك في تفسير حديث
النزول بنزول رحمته.

ولاحظ أن ابن عبد البر أنكر قول من قال من السلف المجسمة: (ينزل بذاته وهو على
كرسيه) واستشنع ذلك! وقال إنه ليس بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة.
فكيف إذا ضُمَّ لذلك قول الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" (٣٦ / ٦) عند الكلام
على حديث النزول:

[مذهب أكثر المتكلمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ مُحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا
تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا
تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ مَعْنَاهُ تَنَزَّلَ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ كَمَا يُقَالُ فَعَلَ السُّلْطَانُ كَذَا
إِذَا فَعَلَهُ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ].

وكيف إذا عرفت أن العلامة الحافظ ابن بطال المالكي (ت ٤٩٩ هـ) - المعاصر لابن عبد
البر والذي توفي قبل ابن عبد البر - يقول في شرحه على صحيح البخاري (٤٥٣ / ١٠):

[وكذلك لا شبهة لهم في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لأن صعود الكلم إلى الله
تعالى لا يقتضى كونه في جهة العلو، لأن الباري تعالى لا تحويه جهة؛ إذ كان موجوداً ولا
جهة، وإذا صح ذلك وجب صرف هذا عن ظاهره وإجراؤه على المجاز؛ لبطلان إجرائه

على الحقيقة... وأما وصف الكلام بالصعود إليه فمجاز أيضاً واتساع؛ لأن الكلم عرض والعرض لا يصح أن يفعل؛ لأن من شرط الفاعل كونه حياً قادراً عالمًا مريدًا، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكلم إلى الملائكة الصاعدين به].

ونقل الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٢٤ / ٧) أن الإمام مالكاً أنكر حديث (اهتزاز العرش بموت سعد بن معاذ) ونهى عن التحديث به حيث قال الحافظ ناقلاً هناك :
[ووقع لمالك نحو ما وقع لابن عمر أولاً ، فذكر صاحب "العتبية" فيها أن مالكاً سئل عن هذا الحديث فقال: أنهاك أن تقوله، وما يدعو المرء أن يتكلم بهذا وما يدري ما فيه من الغرور. قال أبو الوليد بن رشد في "شرح العتبية": إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته كما يقع للجالس منا على كرسيه، وليس العرش بموضع استقرار الله، تبارك الله وتنزه عن مشابهة خلقه. انتهى ملخصاً] .

وفي "سير أعلام النبلاء" (١٠٣ / ٨) للحافظ الذهبي وبعضه في "التمهيد" لابن عبد (١٥٠ / ٧): [قال ابن القاسم: سألتُ مالكاً عمَّن حدَّث بالحديث الذين قالوا: «إِنَّ اللَّهَ خلق آدم على صورته» والحديث الذي جاء: «إِنَّ اللَّهَ يكشف عن ساقه»، «وأنه يُدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد»، فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يحدث بها أحد، فقليل له: إِنَّ ناساً من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هو؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات] انتهى .

وزاد العقيلي على هذه العبارة في "الضعفاء" (٢٥١ / ٢) أن الإمام مالكاً قال في أبي الزناد: [وكان صاحب عمال يتبعهم]. أي أن أبا الزناد كان صاحب عامل بني أمية على المدينة وكان تابعاً لهم فيما ينشرونه ويتبنونه من التشبيه والتجسيم!!

وقال ابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٢٤-٣٩٩ هـ) في كتابه "أصول السنة" ص (٨٤) عند الحديث (٢٥):
[وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعُتْبِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: وَكَانَ مَالِكٌ يُعَظِّمُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدٌ بِهِذِهِ

الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَضَعَفَهَا].

وهذا الكلام الذي قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى مهم جداً جداً لا بُدَّ من تحليله فنقول وبالله تعالى التوفيق : قال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١ / ١٣٤) في ترجمة أبي الزناد: [قال الليث بن سعد: رأيت خلفه ثلاثمائة تابع من طالب فقه وطالب شعر وصنوف. قال ثمَّ لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة الرأي... وقال مصعب الزبيري:.... وفد على هشام بحساب ديوان المدينة وكان يعاند ربيعة، قال إبراهيم بن المنذر: هو كان سبب جلد ربيعة، فولِّي بعدُ أميرُ فطَيْنَ على أبي الزناد بيتاً (أي عاقبه فأغلق بيته وهو كناية عن حبسه أو منعه من الخروج) فشفع فيه ربيعة].

رحم الله ربيعة ورضي عنه ما أجل خلقه ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾. قلت: توفي أبو الزناد سنة (١٣٠ هـ) أي في أيام الدولة الأموية كما نجد ذلك في ترجمته. واعلم أنَّ الأمويين كانوا يروجون لهذا!! فهذا إمام الأمويين يقول في كعب الأحمار: (ألا إنَّ كعب الأحمار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفترطين) (!!) وهو منقول من ترجمة كعب في مثل "تهذيب" الحافظ ابن حجر والحافظ المزي. وحكام الدولة الأموية كانوا يروجون لعقائد التجسيم مما ساعد على انتشارها !! ومن ذلك ما روى ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص (١٠٨) فقال : حدثنا محمد بن العلاء أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال : [قدمت على عبد الملك فذكرت عنده الصخرة التي ببيت المقدس فقال عبد الملك: هذه صخرة الرحمن التي وضع عليها رجله...] فأنكر عليه عروة.

وسنده صحيح . فتأمل !!

أورد الذهبي في كتاب "العلو" (النص ٢٨٠) عن كعب خبراً من أخبار التجسيم فقال: [قال أبو صفوان الأموي عبدالله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، ثنا يونس بن يزيد، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن كعب الأحمار قال: قال الله في التوراة : أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ولا يخفى عليَّ شيء في

السماء ولا في الأرض. رواته ثقات].

راوي هذه الحكاية هنا عن كعب الأحبار التي ينقلها من التوراة أحد رجالات بني أمية وهو عبدالله بن سعيد، وهذا الرجل كان له أربعة عمومة خلفاء وهم: الوليد بن عبدالملك، وسليمان بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك. كما في "تهذيب الكمال" (٣٧ / ١٥) ومن هذا يعلم أن هذه الأفكار كانت ترّوج في دولة بني أمية (!!)

وأنهم كانوا يقومون بأنفسهم على ترويح التجسيم وبث الإسرائيليات (!!)

وقد أكّد إنكار الإمام مالك رواية أحاديث الصفات وكرهه لذلك وتحذيره منه الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٢٢٥ / ١) حيث قال:

[وممن كره التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب...].

ونعود إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى فنقول:

مما تقدّم تبين أن الدولة الأموية كانت تتبنى عقائد التشبيه والتجسيم، فقد تم دس إنسان في مجلس الإمام مالك رحمه الله تعالى ليسأله عن آية الإستواء وكيفية الاستواء، فأصابه رحمه الله تعالى حرج شديد وعَلَّتْهُ الرُّحْضَاءُ أي أنه عرق عرقاً شديداً كما جاء في الرواية لأنه عرف أنها دسيسة من الدولة أو من بعض أعوانها أمثال أبي الزناد الذي قال عنه الإمام مالك بأنه كان عاملاً للأمويين، وكان ينشر أحاديث الصفات، وبعد التفكير العميق قال مقالته تلك وليس للمجسمة فيها مستمسك! حيث:

١ - نفى عن الله تعالى كيف فقال رحمه الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة...]. كما رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص (٤٠٨) بتحقيق العلامة الكوثري.

٢ - لم يقل مالك في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كما تقول المجسمة: إنه تعالى (فوق العرش) أو (في السماء) أو (في العلو) أو (علا وارتفع)! وإنما رأى قطع المجسم وزجره بهذا الجواب، مع احتساب عدم تعريض نفسه للأذى، وعدم فوز من

أرسل هذا السائل.

وكل هذا مع ما تقدّم يفيد أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى كان من أئمة التنزيه المحض. وبعد هذه المقدمة نشرع إن شاء الله تعالى في الجواب عن بعض الإشكالات التي يطرحها بعضهم في هذا العصر حول بعض النصوص الشرعية التي يوهمون العامة بذكرها أنها تفيد ما يعتقدون من العقائد الفاسدة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أما احتجاجهم بالآية الكريمة:

[قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرُ﴾^(٢) الملك].

أقول: احتجاجهم بها احتجاج باطل وإليك ذلك:

معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾: قال ابن عطية المالكي^(٣) (٤٨١-٥٤١هـ) في "تفسيره" (٣٩٠/٦): [وقوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ جار على عُرْفِ تَلَقِّي الْبَشَرِ أَوْ أَمَرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَزُولِ الْقَدَرِ بِحَوَادِثِهِ وَخَسْفِ الْأَرْضِ: أَنْ تَذْهَبَ سَفَلًا].

قاعدة لا بُدَّ منها لفهم القضية:

قبل بيان معنى الآية الكريمة ينبغي أن نعلم أن هناك آيات كريمة لا يُراد منها ظواهر ألفاظها، والله تعالى يخاطب البشر على ما يتصورون أو يتعارفونه أو على حسب مخاطبتهم فيما بينهم، ومن أمثلة ذلك:

١ - الآيات التي يوهم ظاهرها أن الله تعالى يختبرنا ليعلم ماذا سنفعل مع أنه عالم بما سنفعل قبل أن يخلقنا (ولا يصح لأي إنسان أن يستدل بها على أن الله لا يعلم ما لم يكن وإنما يعلم ما حصل وحدث):

- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

(٢) قال ابن فرحون المالكي في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" (٧٥/٢): [كان فقيهاً عالمًا بالتفسير، والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مقيداً حسن التقييد].

الصَّابِرِينَ ﴿آل عمران: ١٤٢﴾.

- وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ المائدة: ٩٤.

- وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ الحديد: ٢٥.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ البقرة: ١٤٣.

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ الكهف: ١٢.

- وقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ سبأ: ٢١.

تأمل هذه الآيات الكريمة تجد أن ظاهرها يفيد أن الله يريد أن يختبرنا ليعلم، والواقع شرعاً وعقلاً عند الجميع خلاف هذا الظاهر، وهو أن الله يعلم كل شيء ويعلم ماذا سنختار وماذا سنفعل قبل الاختبار وبعده وقبل خلقنا وخلق السموات والأرض. إذاً فليس لأحد أن يأتي ويأخذ بظواهر هذه الآيات فيوردها ويذكرها ويتلوها ليحاججنا بها على أن الله لا يعلم الأمور قبل حصولها، وكذلك الآيات التي يوهم ظاهرها أن الله في السماء.

٢- الآيات التي يوهم ظاهرها أن الله تعالى في الأرض:

- قال تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ القصص: ٣٠. وهذا يوهم أن الله سبحانه كان في تلك البقعة في الشجرة.

- وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المجادلة: ٧.

وإذا أردنا أن ندقق قلنا: لفظ (هو) يدل على الذات لا على الصفات، فظاهر لفظ (هو): الذات لا العلم أو القدرة مثلاً.

- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ الزخرف: ٨٤.

- وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ الواقعة: ٨٥.

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق: ١٦.

- وقال تعالى لسيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه: ٤٦.

- وقال تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ النحل: ٢٦.

وأما الأحاديث المروية في الصحيحين أو أحدهما التي ظاهرها متوافق مع ظاهر هذه الآيات:

- فعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى». رواه البخاري (٤٠٦) ومسلم (٥٤٧) في صحيحيهما.

- ورواه ابن المنذر في الأوسط (٢٤٦٩) عن سيدنا أنس بلفظ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يَنَاجِي رَبَّهُ، فَإِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ، فَلَا يَبْصُقُ أَحَدُكُمْ فِي قِبْلَتِهِ». وهو في صحيح البخاري (٤١٧).

- وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَا يَبْصُقُ أَمَامَهُ فَإِنْ رَبَّهُ أَمَامَهُ وَلِيَبْصُقَ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». رواه أحمد (٦٥/٣).

- وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم في صحيحه (٤٨٢).

- وعن أبي موسى الأشعري لَمَّا رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ وَهُمْ فِي غَزَاةٍ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَا تُنَادُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا.. الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ». رواه البخاري (٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤) وهذا لفظ

مسلم.

ولفظ أحمد (٤/ ٤٠٢): «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَتِهِ».

وهؤلاء الوهابية المعاصرون يعلمون أن شيخهم المعاصر ابن عثيمين يقول بأن معية الله تعالى للعباد معية حقيقية!

ومن هنا نعلم أن ظواهر بعض النصوص غير مرادة! أو أن حقيقة بعض الجمل غير مقصودة في الخطاب! إنما المقصود مجاز ذلك، وقد اعترف ابن تيمية وابن القيم بثبوت المجاز ووقوعه في مواضع من كتبهما وأنكراه في مواضع أخرى لا يتماشى مع مقصدهما. ونعود هنا إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ فنقول:

الناس فريقان في فهم معنى هذه الآية الكريمة، إما منزهة وإما مشبهة:

فأما المشبهة: فإنهم يؤولونه ويقولون: ليس المقصود بذلك أنه تعالى حال في السماء إلا في الثلث الأخير من الليل فإنه ينزل إلى السماء الدنيا، وإنما المراد بلفظ (في) هو (على) أي فوق) فالله ليس في السماء وإنما هو فوقها وعليها. ﴿وَلَا صَلْبَيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ طه: ٧١. وأما المنزّهة: وهم المبتعدون عن اتخاذ المتشابه أصلاً، المتبعون لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة، قالوا بأن المراد بقوله: ﴿ءَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي ءَأَمْتُمْ مِنَ الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ الْمُوصُوفِ بَعْلُو الرُّبُوبِيَّةِ، لأن العرب إذا وصفت شيئاً بأنه في السماء أشارت بذلك إلى رفعة قدره وعلو منزلته وشأنه.

وقد فسّر جماعات من العلماء المنزهين الآية بهذا المعنى والأسلوب، ومن ذلك:

١- قال ابن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) وهو من أئمة علماء السلف في "تفسيره" (١/ ٤٣٠): [فيقال له: زعمت أن تأويل قوله "استوى" أقبل، أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل:

علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال].

٢- وقال الإمام أبو منصور الماتريدي (٢٣٩-٣٣٣هـ) وهو من أئمة السلف في تفسيره "تأويلات أهل السنة" (١٠/١١٧):

[ثم قوله: (مَنْ فِي السَّمَاءِ) أراد نفسه تعالى، أخبر أنه إله السماء، لا على تثبيت أنه في الأرض سواء وعلى النفي أن يكون هو إله الأرض، بل هو في السماء إله وفي الأرض إله؛ وهو كقوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} ليس فيه أن النجوى إذا كانت بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم. وجائز أن يكون قوله: {أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} أي: أأمنتكم من في السماء ملكه وسلطانه]. انتهى كلام الماتريدي.

٣- وقال الحافظ أبو حيان في "البحر المحيط" (١٠/٢٢٦) في تفسير الآية:

[﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ هذا مجاز، وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيز في جهة، ومجازه أن ملكوته في السماء؛ .. أي: مَنْ في السماء هو، أي: ملكوته، .. ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأمره ونهيه، أو جاء هذا على طريق اعتقادهم؛ إذ كانوا مُشَبَّهَةً فيكون المعنى أأمنتكم من تزعمون أنه في السماء، وهو المتعالي عن المكان. وقيل (مَنْ) على حذف مضاف أي خالق مَنْ في السماء، وقيل مَنْ هم الملائكة، وقيل جبريل هو الملك الموكل بالخسف وغيره، وقيل مَنْ بمعنى على ويراد بالعلو القهر والقدرة لا بالمكان، وفي التحرير: الإجماع منعقد على أنه ليس في السماء بمعنى الاستقرار، لأنَّ مَنْ قال مِنَ المشبهة والمجسمة أنه على العرش لا يقول بأنه في السماء] انتهى مختصراً.

وكذلك قال الغزالي (٥٠٥هـ)، والفخر الرازي (٦٠٦هـ)، والثعلبي المفسر (٤٢٧هـ)، والنيسابوري (٨٥٠هـ)، وغيرهم من عشرات أو مئات العلماء.

وبذلك يتبين أن القضية ليست عبارة عن سوق الآيات والأحاديث بلا فهم ولا تعمق دون استيعاب! وليس الأمر أن يحتج من لا يفقه ببعض ظواهر النصوص التي إنما يراد منها معانٍ أخرى غير ظواهرها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا

وقول المشبهة:

[قال أبو عمر ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (فمعناه : مَنْ على السماء، يعني على العرش). التمهيد ج ٧ / ص ١٣٠].

أقول: هذا عليه نقاط:

الأولي: أن غير ابن عبد البر من المالكية خالف في هذا، قال ابن عطية المالكي^(٣) (٤٨١ - ٥٤١ هـ) في "تفسيره" (٦ / ٣٩٠): [وقوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ جار على عُرْفٍ تلقى البشر أوامر الله تعالى، ونزول القدر بحوادثه وخسف الأرض: أن تذهب سفلًا].

وتقدم أن الحافظ ابن بطّال المالكي (ت ٤٤٩ هـ) - المعاصر لابن عبد البر والذي توفي قبل ابن عبد البر - يقول في شرحه على صحيح البخاري (١٠ / ٤٥٣):

[وكذلك لا شبهة لهم في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لأن صعود الكلم إلى الله تعالى لا يقتضى كونه في جهة العلو، لأن الباري تعالى لا تحويه جهة؛ إذ كان موجودًا ولا جهة، وإذا صح ذلك وجب صرف هذا عن ظاهره وإجراؤه على المجاز؛ لبطلان إجرائه على الحقيقة... وأما وصف الكلام بالصعود إليه فمجاز أيضًا واتساع؛ لأن الكلم عرض والعرض لا يصح أن يفعل؛ لأن من شرط الفاعل كونه حيًا قادرًا عالمًا مريدًا، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكلم إلى الملائكة الصاعدين به].

الثانية: أن كبار العلماء والحفاظ حذروا من عقيدة ابن عبد البر ونصوا على أنه من القائلين بالجهة! ومن ذلك:

قال الحافظ العراقي الشافعي في "طرح الشريب شرح التقريب" (٢ / ٣٨٢): [.. هذا كلام ابن عبد البر وهو أحد القائلين بالجهة فاحذره وإنما ذكرته لأنبّه عليه لئلا يغتر به].

(٣) قال ابن فرحون المالكي في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" (٢ / ٧٥): [كان فقيهاً عالماً بالتفسير، والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مقيداً حسن التقيد].

وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي المنزه في "صيد الخاطر" ص (٦١):

[عجبتُ من أقوامٍ يدَّعون العلمَ! ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها،.... ولقد عجتُ لرجلٍ أندلسيٍّ يُقال له ابن عبد البر صنَّف كتاب التمهيد فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال: (هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى)، وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل، لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام ففاس صفة الحق عليه! فأين هؤلاء واتَّباع الأثر؟ ولقد تكلَّموا بأقبح ما يتكلَّم به المتأولون، ثم عابوا المتكلمين].

وقد نص أبو عبد الله الوشتاني الأبي المالكي (المتوفى سنة ٨٢٧هـ) في "شرح صحيح مسلم" (١/ ٢٤١) عند شرح حديث الجارية على أن ابن عبد البر وابن أبي زيد يقولان بالجهة في حق المولى تبارك وتعالى.

الثالثة: أن الإمام مالكا كان منزها لا يرضى الخوض في هذا كما تقدَّم!

الرابعة: أن هذا من جملة التأويل المخالف لما ينقلونه عن السلف في قولهم (أمروها كما جاءت)! وقول أحمد بن حنبل: (بلا كيف ولا معنى). نقله عنه ابن بطة الحنبلي في "الإبانة" (٣/ ٥٨) وابن قدامة الحنبلي في "ذم التأويل" ص (٢٢) حيث قال ابن قدامة هناك: [وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْخَلَالُ أَخْبَرَنَا الْمُروُذِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ فَقَالَ: (نَمَرُهَا كَمَا جَاءَتْ). قَالَ وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنَّ حَنْبَلًا حَدَّثَهُمْ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرَوِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَأَنَّ اللَّهَ يُرَى وَإِنَّ اللَّهَ يَضَعُ قَدَمَهُ وَمَا أَشْبَهَهُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: (نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى...)].

فابن عبد البر يقول: (فمعناه: مَنْ عَلَى السَّمَاءِ ..).

وأحمد بن حنبل يقول: (وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى)!

ونقل الترمذي في سننه (٤/ ٦٩٢) عن أئمة من السلف أنهم قالوا في نصوص الصفات:

[والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووکیع وغيرهم أنهم رَووا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف . وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تُروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ، ولا تفسر ، ولا تتوهم ، ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه] اهـ . وهذا وإن لم نوافق عليه فإنه ملزم لهؤلاء المجسمة .

فقول ابن عبد البر هنا مخالف لمنهج السلف وطريقتهم التي بينها أحمد بن حنبل والترمذي نقلًا عن أئمة من السلف . - وإن كنا لا نوافق على ما نقلوه عن السلف - وبذلك بطل ما استدلوا به من كلام ابن عبد البر !

وقول المشبهة:

[وقال تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى﴾ قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (هو على العرش وعلمه في كل مكان) . التمهيد ج ٧ / ص ١٣٩ .]

والجواب على هذا من أوجه:

أولاً: أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى قال خلاف ذلك! فقد روى الإمام أحمد عنه أنه قال: [مُلْكُ الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء، وتلا هذه الآية: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾].

رواه أحمد بن حنبل في كتابه "العلل ومعرفة الرجال" (٣/ ١٨٠) . واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٤٠١)، وقد سقطت كلمة (مُلْك) عند ابن عبد البر وتبعه على ذلك المتمسلفون، والواقع أن الذي في كتاب أحمد واللالكائي خلاف ذلك، فعلى المتمسلفة أن يلوموا أحمد واللالكائي الراوين لذلك على خلاف مرادهم .

ثانياً: أن علماء المالكية المنزهة قالوا خلاف ذلك، ومنهم القرطبي الذي يقول في تفسيره (٧/ ٢٢٠): [والعرش المُلْك والسلطان. يقال: ثُلَّ عرش فلان إذا ذهب مُلْكُهُ وسلطانه وعِزُّه. قال زهير: تداركتما عبساً وقد ثُلَّ عرشُها... وذبيان إذ زَلَّتْ بأقدامها النُّعْل].

وقول المشبهة:

[وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾].

أقول في الجواب عليه:

معنى قوله فيه {إليه يصعد الكلم الطيب} هو القبول لا غير!! وكل عاقل يعلم أن الأعمال الصالحة ومن جملتها الكلام الطيب من قراءة قرآن وذكر الله تعالى وغير ذلك هي من جملة الأعمال الصالحة التي تدونها الملائكة في صحيفة العبد التي يحاسب ويثاب أو يعاقب عليها، والفكر اليهودي المتمثل بكعب الأحرار اليهودي الأصل هو الذي يقول بأن الذُّكْر وهو (الكلم الطيب) يصعد فيدور حول العرش لِيَتَذَكَّرَ اللهُ تعالى صاحِبَهُ وَعَمَلَهُ صاحبه كما في تفسير ابن جرير الطبري (٢٠ / ٤٤٥): [عن عبد الله بن شقيق قال: حدثني كعب أن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لهن دوي حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن]. وهو أيضاً مروي عنه في "حلية الأولياء" (٤ / ٦).

فـ (الكلم الطيب) والكلمات من جملة أعمال العبد التي يكتبها الملكان في صحيفة العبد قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الانفطار: ١١. وجاء في حديث الموطأ (٤٤٢) والبخاري (٧٥٧) وغيرهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن قال في الصلاة خلفه: سمع الله لمن حمده: «رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها أيهم يكتبها». فالمقرر في الكتاب والسنة الصحيحة أن الأعمال تكتب في الصحف ليجزى بها العبد يوم القيامة، وصعود الذكر والدعاء إلى الله تعالى كناية عن القبول، وإلا فماذا يستفيد الله منها وأعمال الخلق جميعها لا تنفعه سبحانه ولا تضره وهو عليم بها من قبل صدورها من أصحابها وحال صدورها!! فهل ترفع إليه ليعلمها ويعرفها أم ماذا!؟

قال علماء المالكية المنزهون كالقرطبي في تفسيره (١٤ / ٢٨٦):

[قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وتم الكلام، ثم تبدئ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾]

يرفعه ﴿﴾ على معنى : يرفعه الله أو يرفع صاحبه ... والصعود هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضاً ولا يتصور ذلك في الكلام لأنه عرض لكن ضرب صعوده مثلاً لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل . وقال الزجاج : يقال ارتفع الأمر إلى القاضي أي علمه فهو بمعنى العلم وخص الكلام والطيب بالذكر لبيان الثواب عليه . وقوله (إليه) أي إلى الله يصعد . وقيل يصعد إلى سمائه والمحل الذي لا يجري فيه لأحد غيره . فمعنى يصعد إلى الله أي يقبله الله تعالى .

قال ابن جزى المالكي (٦٩٣-٧٤١هـ) في تفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل" (٢/٣٩٦):
[فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح أي يتقبله ويثيب عليه].
وقال العلامة الحافظ ابن بطال المالكي (ت ٤٤٩هـ) في شرحه على صحيح البخاري (١٠/٤٥٣):

[وكذلك لا شبهة لهم في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لأن صعود الكلم إلى الله تعالى لا يقتضى كونه في جهة العلو، لأن الباري تعالى لا تحويه جهة؛ إذ كان موجوداً ولا جهة، وإذا صح ذلك وجب صرف هذا عن ظاهره وإجراؤه على المجاز؛ لبطلان إجرائه على الحقيقة... وأما وصف الكلام بالصعود إليه فمجاز أيضاً واتساع؛ لأن الكلم عرض والعرض لا يصح أن يفعل؛ لأن من شرط الفاعل كونه حياً قادراً عالمًا مريدًا، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكلم إلى الملائكة الصاعدين به].

كلام الحافظ ابن بطال مهم جداً في بيان طريقة المالكية المتقدمين في التنزيه البعيدة عن طريقة ابن عبد البر وأمثاله من المائلين إلى الجهة والتشبيه!
وقال الحافظ ابن حجر الشافعي في "الفتح" (١٣/٤١٦): «قال البيهقي: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول».

قال الحافظ أبو حيان في "البحر المحيط" (٩/١٨): ﴿الكلم الطيب﴾ التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك، وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله . وقال كعب - الأحمبار اليهودي الأصل - : إنَّ لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدويًا حول العرش

كدوي النحل بذكر صاحبها]. أقول: فكرة عروج الكلام وصعوده بالمعنى الحسي فكرة يهودية جاء بها كعب الأخبار وهو لا يملك أن يُفسَّر ويُشرَّع، وأما جهابذة علماء الإسلام المنزهين لله تعالى كالحافظ أبي حيان فقالوا كما في تفسيره (١٨/٩): [وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه، لأنه تعالى ليس في جهة، ولأنَّ الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأنَّ الصعود يكون من الأجرام، وإنما ذلك كناية عن القبول، ووصفه بالكمال. كما يقال: علا كعبه وارتفع شأنه، ومنه ترفعوا إلى الحاكم ورُفِعَ الأمر إليه، وليس هناك علوٌّ في الجهة].

فليس في هذه الآية الكريمة دلالة لما تريده المجسمة!! وبذلك يزول الإشكال الذي عشعش في أذهان وعقول المجسمة والمشبهة أو من تأثر بهم وحرار في مثل هذه القضية!

وقول المشبهة:

[وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾].

قال القرطبي المالكي في "تفسيره" (٣١٤ / ١٥):

[﴿فَأُطِّلَ إِلَى إله موسى﴾ فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ نَظْرَ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ. توهم أنه جسم تحويه الأماكن. وكان فرعون يدعي الألوهية ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف... ﴿وَإِنِّي لِأُظَنَّهُ كَاذِبًا﴾ أي: وإني لأظن موسى كاذبًا في ادِّعائه إلهًا دوني، وإنما أفعل ما أفعل لإزاحة العلة. وهذا يوجب شك فرعون في أمر الله].

أقول: سيدنا موسى عليه السلام لم يدَّع بأنَّ الله تعالى في السماء وإنما تخيل فرعون الكافر المجسم أنَّ الله عزَّ وجلَّ في السماء قياسًا منه الخالق - وهو إله سيدنا موسى - على المخلوق وهو ما يراه بعينه من الخلق وما يسمعه من الشرائع المحرَّفة التي كانت قبله!! ولم يأت في نص واحد أنَّ سيدنا موسى قال لفرعون بأنَّ الله تعالى في السماء!! ولو أنهم أتموا الآية الكريمة لانقلب الأمر ضد ما يريدون، فقد ذكر الله عزَّ شأنه عن إمام المجسمة فرعون أنه ظنَّ أنَّ رب سيدنا موسى عليه السلام في السماء إذ قال: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي

صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زُيِّنَ لفرعون سوء عمله وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ ﴿غافر: ٣٦-٣٧﴾. فبين الله تعالى في آخر هذه الآيات أنَّ من ظنَّ أنَّ الله تعالى في السماء فقد صُدَّ عَنْ سَبِيلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى!!

قال الإمام الفخر الرازي في "تفسيره" (١٤ / ١١٩): [إنَّ فرعونَ لمَّا طلب حقيقة الإله من موسى عليه السلام ولم يزد موسى عليه السلام على ذكر صفة الخلائقية ثلاث مرات، فإنه لمَّا قال: ﴿وما رب العالمين﴾ ففي المرة الأولى قال: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ وفي الثانية قال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وفي المرة الثالثة قال: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ وكل ذلك إشارة للخلائية، وأما فرعون لعنه الله فإنه قال: ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ فطلب الإله في السماء، فعلمنا أنَّ وصف الإله بالخلائية وعدم وصفه بالمكان والجهة دين موسى عليه السلام وسائر جميع الأنبياء، وجميع وصفه تعالى بكونه في السماء دين فرعون وإخوانه من الكفرة].

وقول المشبهة:

[ودلت على إثبات العلو أحاديث منها: (إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تسبق غضبي). متفق عليه].

والجواب عليه من وجوه:

الأول: أن لفظة (فهو عنده فوق العرش) ليست ثابتة في هذا الحديث وإن وردت في الصحيح، لأنه هذا الحديث روي أيضاً في الصحيح وليس فيه هذه الجملة! فهي من جملة تَصَرُّفِ الرِّوَاةِ وَزِيَادَاتِهِمْ فِي مَتْنِهِ.

فرواه مسلم (٢٧٥١) بلفظ:

[..عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي)]. هكذا فقط.

وروا أيضاً هناك بلفظ:

[..عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)].

وليس فيه ذكر العرش كما ترى.

وتفصيل ذلك ما قلته في التعليقات على كتاب "العلو" حيث قلت: صحيح دون لفظة (العندية) و (العرش) أي دون (فهو عنده فوق العرش). ولاحظ أن الذهبي أشار لذلك حيث ذكر له عدة ألفاظ بعضها فيه ما يدل على موضوع عنوان كتابه (العلو) وبعضها لا يدل!! وهذا منه إشارة إلى أن ألفاظ هذا الحديث فيها اضطراب!! وبعد البحث في طرقه وجدته في مسلم (٢٧٥١) من طريق أبي الزناد عن الأعرج ليس فيه ذكر العرش والعندية، وكذا في ابن ماجه (١٨٩) من حديث ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة، وكذا عند أحمد (٣٩٧/٢) من طريق شريك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، وكذا عند أحمد (٤٦٦/٢) من طريق وكيع عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

ورواه بذكر العندية دون العرش مسلم (٢٧٥١) من طريق عطاء بن ميناء عن أبي هريرة، وابن عاصم (٦٠٩) من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة.

ورواه بذكر العندية والعرش البخاري (٧٤٢٢) و (٧٤٥٣ معلقاً) من طريق مالك وشعيب كلاهما عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، والبخاري (٧٥٥٤) من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة، والبخاري (٧٤٠٤) من طريق أبي حمزة محمد بن ميمون عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. وهذا كله يفيد الاضطراب في قضية العندية والعرش والاضطراب يوجب الضعف فلا حجة في هذه القطعة، لا سيما والحديث لا يروى إلا عن أبي هريرة ولم يروه غيره من الصحابة فيما أعلم.

الثاني: أن هذا من أخبار الآحاد وهي تفيد الظن ولا تفيد العلم! وقد وقع الاختلاف بين

ألفاظه، فلا يجوز أن تبنى على مثله أصول الاعتقاد!

قال الحافظ ابن عبد البر في "التمهيد" (٧/١):

[واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعاً ، أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم - أي المالكية - أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه... قال أبو عمر ابن عبد البر: الذي نقول به يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر].

وقد اعترف بذلك ابن تيمية الحرّاني في "منهاج السنة" (١٣٣/٢) حيث قال:
[الثاني: أنّ هذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به؟! اهـ .

الثالث: أن أبا هريرة رضي الله عنه من جملة من روى عن كعب الأخبار أي من جملة من روى إسرائيليات، ويحتمل أن يكون هذا الخبر وما أشبهه منها، ورواية أبي هريرة عن كعب ذكرها من ترجمهما كالحافظ المزي في "تهذيب الكمال" والحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب"، فليراجع ذلك من أراد التحقق.

ومن دلائل ذلك: ما رواه مسلم بإسناد صحيح في كتابه "التمييز" ص (١٧٥ برقم ١٠) عن بسر بن سعيد (وهو من كبار التابعين ومن رجال الستة ومن تلاميذ أبي هريرة) أنه قال: [اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله ﷺ]. [انظر أيضاً "سير أعلام النبلاء" (٦٠٦/٢) و "البداية والنهاية" (١٠٩/٨)].

وبذلك فإن هذا الخبر باللفظ الذي ذكره المجسمة لا حجة فيه. والله الموفق.

وقول المشبهة محتجين بظاهر الحديث التالي:

[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر

السماء صباحا ومساء. رواه البخاري ومسلم.]

والجواب عليه من وجوه:

أن هذا الحديث رواه البخاري ومسلم أيضاً في موضع آخر وليس فيه لفظ (من في السماء).

وقد رواه بهذا اللفظ الذي تمسكت به المجسمة البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) من رواية عمارة بن القعقاع، وقد خالفه سعيد بن مسروق الثوري والد سفيان في الصحيحين وغيرهما فلم يذكر فيه لفظ (السماء) الذي تشبثت به المجسمة! فيكون لفظ السماء من تصرّف الرواة!! وإذا احتمل أن تكون الألفاظ من تصرف الرواة لا يتم الاستدلال به، وقد قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٣٥٤ / ١٣) مقررًا هذه القاعدة في حديث آخر ما نصه:

[مع أن الاحتجاج به يتوقف على الجزم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم نطق بهذه اللفظة وفيه نظر، لأن القصة واحدة ورواة هذا الحديث اختلفوا: هل ورد الحديث بهذا اللفظ أو بغيره؟ فلم يقل صلى الله عليه وآله وسلم إلا بلفظ منها، ومع احتمال أن يكون هذا اللفظ من تصرف الرواة لا يتم الاستدلال].

وهذا الحديث رواه الثوري بلفظ: «أيامني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني» رواه البخاري (٣٣٤٤ / ٦) و (٧٤٣٢ / ٤١٦ / ١٣) ومسلم (١٠٦٤ / ٧٤١ / ٢) والنسائي في الصغرى (٢٥٧٨ / ٨٧ / ٥) و (٤١٠١ / ١١٨ / ٧) وأبو داود (٤٧٦٤ / ٢٤٣ / ٤) وأحمد (٧٣٨ / ٣) وغيرهم، وهذا وحده كافٍ في نقض الرواية التي ذكرها هؤلاء المجسمة وعدم اعتبارها، فالشك لا تثبت به الأحكام في الطهارات فضلاً عن العقائد والقطعيات!! وقد روي الحديث في الصحيحين أيضاً وليس فيه اللفظ الذي استدلل به المجسمة على العلو ولفظه «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟!»، من حديث جابر وأبي سعيد!! رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٤٨) من طريق الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد به. وأخرجه البخاري (٣١٣٨) من طريق عمرو بن دينار عن جابر؛ ومسلم (١٠٦٣) وأحمد في

مواضع منها (٣/ ٣٥٤) من طريق أبي الزبير سمعت جابر. وكل هذه الطرق توهن اللفظ الذي ذكره المجسمة بل تدكُّه دكًّا!!

قلت: ذكر الكلام عليه في "الفتح" (١٣/ ٤١٢) فقال: [قال الكرّماني: قوله (في السماء) ظاهره غير مراد، إذ الله مُنَزَّهٌ عن الحلول في المكان، لكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلى علو الذات والصفات، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الواردة في الفوقية ونحوها].

وقول المشبهة محتجين بظاهر الحديث التالي:

[وكذلك حديث الجارية: قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟ قالت: في السماء... " رواه مسلم].

أقول في الجواب على ذلك:

هذه الحديث له ألفاظ عدة، منها: هذا اللفظ (أين) الذي ذكره المجسم، ومنها لفظ أتشهدين أن لا إله إلا الله)، فقد روى شيوخ مسلم كأحمد في المسند (٣/ ٤٥١) وشيوخ شيوخي كعبد الرزاق في المصنف (٩/ ١٧٥) وأهمهم الإمام مالك في الموطأ (١٥١٢) عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَارِيَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَإِنْ كُنْتَ تَرَاهَا مُؤْمِنَةً أُعْتِقْتُهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَشْهَدِينَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَشْهَدِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَتُوقِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ». قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أُعْتِقْتُهَا».

قال ابن كثير في "تفسيره" (١/ ٧١٠): [وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره]. وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١/ ٢٣): [رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح].

وقد نفى الإمام البيهقي وجود هذه القطعة من الحديث أي قصة الجارية أن تكون في صحيح مسلم. وبالتالي فإن مسلماً لم يرو هذه اللفظة وإنما ألحقت في صحيح مسلم بعد ذلك. قال البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات" (٢ / ٤٢٧) بعد أن ساق حديث معاوية بن الحكم السلمي المكون من عدة قصص أو من عدة مواضع:

[وهذا صحيح، قد أخرجه مسلم مقطوعاً من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف، عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية، وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه. وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث].

فالبیهقي يقول بكل وضوح:

١ - حديث معاوية بن الحكم السلمي صحيح.

٢ - دوووووون قصة الجارية (دون قصة الجارية).

٣ - قصة الجارية اختلف الرواة في لفظها! أي أنها مضطربة!

٤ - وقد بين البيهقي في سننه الكبرى (٣٨٨ / ٧) أن الحديث مروي بثلاثة ألفاظ وهي:

(أشهدين أن لا إله إلا الله) و (أين الله) و (من ربك).

وبين في "الأسماء والصفات" أنه لاختلاف الرواة في هذا لم يخرج مسلم في صحيحه وأن حديث معاوية بن الحكم صحيح دون قصة الجارية! كما تقدم من كلامه الواضح المنقول!

ومنه يتبين خطأ ابن عبد البر في قوله الذي أورده المشبهة وهو:

[قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (معاني هذا الحديث واضحة، يُستغنى عن الكلام فيها، وأما قوله: أين الله؟ فقالت: في السماء. فعلى هذا أهل الحق ...) التمهيد ٢٢ ص ٨٠].

أقول: ابن عبد البر بنى ذلك على لفظ (أين الله) وهو لفظ شاذ، ومما يؤكد نقض ما قاله ابن عبد البر أنه اعترف أيضاً في "التمهيد" بصحة لفظ: (أشهدين أن لا إله إلا الله)! فقال

في "التمهيد" (١١٤ / ٩):

[وَهَذَا الْحَدِيثُ (أَتَشْهَدِينَ..) وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْإِنْقِطَاعَ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ فَإِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِتِّصَالِ لِلِقَاءِ عَبْدِ اللَّهِ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ... وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ هَذَا مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ مِنْ شَرْطِ الشَّهَادَةِ الَّتِي بِهَا يُخْرَجُ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ مَعَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ الْإِقْرَارُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ فَلَا إِيْمَانَ لَهُ].

وقال ابن عبد البر أيضاً في "التمهيد" (٢٤٢ / ٩):

[وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ هَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ قَالَ وَمَعْلُومٌ أَنَّ امْتِحَانَهُنَّ إِيَّاهُنَّ إِنَّمَا هُوَ مُطَالَبَةٌ لَهُنَّ بِالْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِي جَاءَهُ بِالْأَمَةِ السُّودَاءِ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَإِنْ كُنْتُ تَرَى هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُؤْمِنَةً أَعْتَقْتُهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ أَتَشْهَدِينَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ أَعْتَقْتُهَا فَإِنَّمَا مُؤْمِنَةٌ وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْخَبَرَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا قَالُوا فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ وَصَرِيحُ السُّنَّةِ].

وتقدم قول الحافظ العراقي الشافعي في "طرح التثريب شرح التريب" (٣٨٢ / ٢):

[.. هذا كلام ابن عبد البر وهو أحد القائلين بالجهة فاحذره وإنما ذكرته لأنَّه عليه لئلا يغتر به].

وقول المشبهة محتجين بظاهر الحديث التالي:

[قال صلى الله عليه وسلم: "إِرحموا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحِمُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ" رواه مسلم].

والجواب عليه:

أن هذا حديث ضعيف مردود لم يروه مسلم في صحيحه!

وزعم من زعم أن مسلماً رواه في صحيحه كذب واضح جلي!

وقد رواه أبو داود (٤٩٤١) وغيره وهو حديث ضعيف في سنده عند الذين روه أبو قابوس لم يرو عنه إلا مالك بن دينار. وقال الذهبي في "الميزان" (برقم ١٠٥٣٠): (لا يُعَرَفُ)، وقال الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (٢٢٣ / ١٢): [ذكره البخاري في الضعفاء من الكبير له...]. اهـ.

فهذا الحديث (.. يرحمكم مَنْ في السماء) ليس في مسلم وإسناده ضعيف وهو منكر المتن لمخالفته ما في الصحيحين ومسند أحمد.

على أن له رواية أخرى في المسند (١٦٠ / ٢) من طريق أبي قابوس هذا ولفظها: (يرحمكم أهل السماء) يعني الملائكة.

وروى أحمد في مسنده (١٦٥ / ٢) من طريق حبان الشرعي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال وهو على المنبر:

«إِرحموا تُرحموا واغفروا يغفر الله لكم، ويلٌ لأقمار القول للمصرين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون». قال الشيخ شعيب واللجنة المعلقة على المسند هناك: [إسناده حسن].

وقد روى البخاري (٦٠١٣ و ٧٣٧٦) ومسلم (٢٣١٩) هذا الحديث من رواية جرير بلفظ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ». وليس فيه ذِكْرُ السماء.

وذهب بذلك ما يحتج به المجسمة والمشبهة أدراج الرياح! وانكشف بذلك أنهم بنوا عقيدتهم على جرف هار! وأنهم سلكوا مسلك التلبيس على الناس وعلى طلبة العلم البسطاء!

ثم قالوا محاولين التلبيس على المالكية:

[قال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: (فِيمَا أَجْمَعَتِ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْمُهُ - لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بَعْلَمَهُ ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَكُلُّهُ قَوْلُ مَالِكٍ، فَمِنْهُ مَنْصُوصٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَمِنْهُ مَعْلُومٌ مِنْ مَذْهَبِهِ). الجامع في السنن والمسانيد ص ١٠٧].

وأقول في جوابه:

أولاً: هذا يخالف قول إمام المذهب مالك رحمه الله تعالى من أئمة التنزيه كما نقلنا في أوائل هذه الرسالة.

ثانياً: أنكر العلماء على القيرواني ما قاله في هذه القضية. وقول ابن أبي زيد القيرواني ليس بحجة، وكل أحد يُؤخذ من قوله وَيُرَدُّ عليه، وابن أبي زيد ليس من السلف وإنما ولد بعد الثلاثمائة، فقد توفي سنة ٣٨٦هـ.

قال الذهبي معلقاً على هذه الكلمة في كتابه "العلو" عند ذكر ابن أبي زيد: [وقد نقموا عليه في قوله (بذاته) فليته تركها]. ومن المعلوم أن شراح الرسالة حاولوا الاعتذار له عن تلك الكلمة ما بين تكذيبها وتأويلها.

قال العلامة العيني الحنفي في شرح البخاري (١٩٩ / ٧) عند الكلام على حديث النزول: [احتج به قوم على إثبات الجهة لله تعالى وقالوا هي جهة العلو، وممن قال بذلك ابن قتيبة وابن عبد البر، وحكي أيضاً عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، وأنكر ذلك جمهور العلماء لأن القول بالجهة يؤدي إلى تحيز وإحاطة وقد تعالى الله عن ذلك].

ثم قال هؤلاء محاولين التلبس على المالكية:

[وقال أبو عمرو أحمد المعافري الطلمنكي المالكي رحمه الله في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته). اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ج ٢ / ص ٢٠٣].

وأقول في جوابه:

هذا الرجل (الطَّلْمَنُكِيُّ) من المجسمة: (٣٣٩-٤٢٩ هـ) وهو صاحب كتاب في السنة (أي العقيدة) تَرْجَمُهُ ابن فرحون المالكي في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" (١/ ١٧٨).

وكان هذا الطَّلْمَنُكِيُّ المالكي من شيوخ ابن حزم وابن عبد البر وهو مشبه مجسم أثبت عضو الجنب لله تعالى كما نقل ذلك عنه الحافظ الذهبي في ترجمته في "سير أعلام

النبلاء" (١٧/ ٥٦٩) حيث قال:

[رأيت له كتاباً في السنة في مجلدين عامته جيد، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبداً مثل: باب الجنب لله، وذكر فيه: {يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله} فهذه زلة عالم...]. واستعمال لفظة (بذاته) في الاستواء أو في النزول خطأ فاحش يفيد التشبيه والتجسيم وقد أنكره ابن عبد البر على نعيم بن حماد، قال ابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ) في "التمهيد" (٧/ ١٤٣-١٤٤) عند كلامه على حديث النزول:

[..وَقَالَ نَعِيمٌ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لِأَنَّ هَذَا كَيْفِيَّةٌ وَهُمْ يَفْزَعُونَ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا فِيمَا يُحَاطُ بِهِ عَيْنًا وَقَدْ جَلَّ اللَّهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ].

ثم قال هؤلاء المجسمة محاولين التلبس على المالكية:

[وقال القاضي عياض رحمه الله: (قال غير واحد سمعت مالك يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان). ترتيب المدارك ٢/ ص ٤٣].

أقول في الجواب عليه:

ليس كل ما ينقله القاضي عياض أو غيره صحيحاً:

في إسناد هذا القول الذي نقلوه رجل ضعيف الرواية وهو الصائغ! وهو راويه مباشرة عن الإمام مالك، قال العُقَيْلي في "الضعفاء" (٢/ ٣١١): عن البخاري: (عن مالك يعرف وينكر). وانظر "تاريخ البخاري" (٥/ ٢١٣). وقال أبو حاتم كما في "الجرح" (٥/ ١٨٣): (وهو لين تعرف حفظه وتنكر وكتابه أصح). وقال ابن عدي في "الكامل في الضعفاء" (٤/ ١٥٥٦): (قد روى عن مالك غرائب) وقال أحمد: (لم يكن صاحب حديث كان ضعيفاً) وهذا في "تهذيب التهذيب" (٦/ ٤٧)!!

والألْباني تناقض في عبدالله بن نافع الصائغ!! فوثقه في موضع وضعفه فعَلَّلَ أحاديثَ بعلل جعل الصائغ من جملتها فانظر في ضعيفته (٢/ ٢٣١ و٢٣٢) ولدينا مزيد!!

وهذا القول عن الإمام مالك رحمه الله رواه أحمد بن حنبل في "كتاب العلل ومعرفة

الرجال" (٣/ ١٨١) واللالكائي في "شرح السنة" (٣/ ٤٠١) بلفظ (مُلِكُ الله في السماء) فأسقطوا منه لفظ (مُلِكُ) الذي ينقض قول هؤلاء المجسمة ويهدمه ولفظه الكامل هو: [.. قال أحمد بن حنبل: حدثنا سريج بن النعمان قال: أخبرني عبد الله بن نافع قال: كان مالك بن أنس يقول: الايمان قول وعمل، ويقول كلم الله موسى، وقال: مُلِكُ الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء، وتلا هذه الآية {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم}].

فتأملوا جيدا! لتدركوا كيف يتم تحريف كلام الأئمة والكذب عليهم!! هؤلاء الذين يحتجون بهذا الأقوال أو ينقلونها للناس دون وعي ولا يعلمون هل صحت عن هؤلاء العلماء الذين ينقلون عنهم أم لم تصح عنهم مغرر بهم، لأنهم لا يعلمون بأن شيوخهم غرروا بهم واستخفوا بعقولهم حينما لقنوههم أو نقلوا لهم هذه الأقوال دون أن يبينوا لهم أنها غير صحيحة ولا ثابتة بل هي من جملة الأكاذيب التي اخترعها المجسمة وعزوها لأولئك الأئمة، وهذا ما يجب أن يفهمه هؤلاء إن كانوا يريدون الوصول إلى الحق لا المماراة بالباطل واللجاج في الخصام، وكل ذلك مما بينته في تعليقاتي على كتاب "العلو" للذهبي وتعليقاتي على "اجتماع جيوش" ابن القيم، فليرجع إليها من شاء التوسع والاستزادة!

ثم قال هؤلاء المشوشون محاولين التليس على المالكية:

[وقال ابن زنين القرطبي المالكي رحمه الله: (ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ماخلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه ...). "أصول السنة" ص ٧٧].

وأقول في الجواب على ذلك:

ابن أبي زنين من المجسمة والمشبهة. ترجمه الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٦/ ٤٢٨) فقال: [محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإمام، أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين، نزيل قرطبة... ولد في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، أو في

آخرها. وتوفي على الصحيح سنة تسع وتسعين في ربيع الآخر. وله كتاب المغرب... وكتاب أصول السنة... روى عنه: أبو عمرو الداني...].

قلت: وهو يقول في كتابه "أصول السنة" المطبوع ص (٩٦): [وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ]. وفيه ذكر اليدين و (حَفَنَاتِ اللَّهِ) والأصابع والعين واليمين والنزول و (أين الله) وأن القرآن خرج من الله، استغفر الله العظيم الذي ليس كمثله شيء.

وأفادنا ابن أبي زمنين هناك ص (٨٤) حديث (٢٥) بقوله:

[وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعُتْبِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: وَكَانَ مَالِكٌ يُعَظِّمُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدًا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَضَعَفَهَا].

وهذه الرفقة التي هي ابن أبي زمنين والظلمنكي وابن أبي زيد وابن عبد البر وأبو عمرو الداني تأثروا بالتجسيم والتشبيه وعاصروهم ابن حزم والتقوا بأكثرهم وأخذ العلم عن بعضهم ونافروهم ولم يتأثر بهذه الآراء التي كانوا يقولون بها.

ثم قال هؤلاء المشوِّشون محاولين التلبيس على المالكية:

[وقال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (أهل السنة مُجِيعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يُكَيِّفُوا شَيْئًا مِنْهَا، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَالْخَوَارِجُ فَقَالُوا: مَنْ أَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُشَبَّهٌ، فَسَمَّاهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُعْطَلَةً). قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعباد ص ١٨].

وأقول في الجواب على ذلك:

قال الإمام النووي في "شرح مسلم" (٥ / ٢٤): [قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى {أَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ} ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم فمن قال باثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول (في السماء) أي: على السماء، ومن قال

من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد واستحالة الجهة في حقه سبحانه وتعالى تأولوها تأويلات بحسب مقتضاها، وذكر نحو ما سبق، قال: ويا ليت شعري ما الذي جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الامساك عن الفكر في الذات كما أمروا وسكتوا لحيرة العقل واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وامساكهم غير شاك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقته، ثم تسامح بعضهم باثبات الجهة خاشياً من مثل هذا التسامح، وهل بين التكييف واثبات الجهات فرق؟ لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في المعقول غيره وهو قوله تعالى: {ليس كمثله شيء} عصمة لمن وفقه الله تعالى. وهذا كلام القاضي رحمه الله تعالى].

وقال القاضي عياض بعد هذا الكلام في "إكمال المعلم شرح صحيح مسلم" (٢/٢٥٩): [وهل بين التكييف من فرق أو بين التحديد في الذات والجهات بون؟!].

ثم قال هؤلاء المشوشة محاولين التلبس على المالكية:

[وقال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِلت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله. التمهيد ج ٧ / ص ١٣٩].

والجواب عليه: أن هذا كذب على الصحابة والتابعين لم ينقل هذا عنهم بإسناد صحيح ولا ثبت هذا. وقد نقل ابن عبد البر هناك أحاديث وآثار لا تصح ولم يثبت شيء منها. بل نقل عبد البر هناك بعد ذلك ما ينافي هذا عن الإمام مالك رحمه الله تعالى. وقد تقدم هنا في هذه الورقات أن الحافظ العراقي الشافعي قال في "طرح الشريب شرح التقريب" (٢/٣٨٢):

[.. هذا كلام ابن عبد البر وهو أحد القائلين بالجهة فاحذره وإنما ذكرته لأنَّه عليه لئلا يُغترَّ به].

وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي المنزه في "صيد الخاطر" ص (٦١):

[عجبتُ من أقوامٍ يدَّعون العلمَ! ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها،.... ولقد عجتُ لرجلٍ أندلسيٍّ يُقال له ابن عبد البر صنَّف كتاب التمهيد فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال: (هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى)، وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل، لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام ففاس صفة الحق عليه! فأين هؤلاء واتَّباع الأثر؟ ولقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون، ثم عابوا المتكلمين].

ثم قال هؤلاء المشوشون محاولين التليس على المالكية:

[وقال ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ) في كتابه مناهج الأدلة: "القول في الجهة: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة، من أول الأمر، يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيتها متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله. وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة، مثل قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ومثل قوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ومثل قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه) الآية، ومثل قوله تعالى (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) إلى غير ذلك من الآيات التي إن سُلِّطَ عليها التأويل عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها إنها من التشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حتى قُرب من سدره المنتهى. وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك "انتهى. قلت: وما خالفت إلا هذه الطائفة الملعونة].

الجواب عليه من أوجه:

الأول: أن هذا الكلام من ابن رشد باطل مردود، ويخالفه فيه جمهور المالكية الذين هم قبله، وقد قدّمنا بعض ذلك، وهو رجل مجسم لا عبرة بأقواله ومن جملة ما يثبت تجسيمه قوله في كتابه "مناهج الأدلة" ص (١٧٠):

[القول في صفة الجسمية: فإن قيل: فما تقول في صفة الجسمية؟ هل هي من الصفات التي صرَّح الشرع بنفيها عن الخالق أو هي من المسكوت عنها؟ فنقول: إنه من البين من أمر الشرع أنها من الصفات المسكوت عنها، وهي إلى التصريح بإثباتها في الشرع أقرب منها

إلى نفيها وذلك أن الشرع قد صرَّح بالوجه واليدين في غير ما آية من الكتاب العزيز...]

وممن خالفه في كلامه في تخطيطاته جدُّه والد أبيه، وهذا نص فتوى جدِّه بوجوب اتباع المذهب الأشعري في العقائد:

سئل الإمام ابن رشد الجدُّ المالكي رحمه الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة وحكم من ينتقصهم كما في فتاواه (٨٠٢ / ٢) وإليكم نص السؤال والجواب :

[ما يقول الفقيه القاضي الأجل.. أبو الوليد وَصَلَّ اللهُ توفيقه وتسديده ونهجه إلى كل صالحة طريقه في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي.. ونظرائهم ممَّن يتحل علم الكلام ويتكلَّم في أصول الديانات ويصنّف للرد على أهل الأهواء؟ أهم أئمة رشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ويسبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية ويكفرونهم ويتبرأون منهم وينحرفون بالولاية عنهم ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضون في جهالة فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم؟ أيترون على أهوائهم أم يكف عن غلوائهم...؟!]

فأجاب : تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا ووقفت عليه، وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى وممَّن يجب بهم الإقتداء لأنهم قاموا بنصر الشريعة وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة وأوضحوا المشكلات وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة لعلمهم بالله عز وجل وما يجب له وما يجوز عليه وما ينتفي عنه، إذ لا تُعَلَّمُ الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقر لهم بسوابقهم فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحرف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل أو مبتدع زائع عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق، وقد قال الله عز وجل

{والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} فيجب أن يُبَصَّرَ الجاهل منهم ويؤدب الفاسق ويستتاب المبتدع الزائع عن الحق إذا كان مستسهلاً ببدعة، فإن تاب وإلا ضرب أبداً حتى يتوب كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده من ضربه إياه، حتى قال يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء وإن كنت تريد قتلي فأجهز عليّ فخلّى سبيله، والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته . قاله محمد بن رشد .

فهذا نص كلام أئمة المالكية في الأشاعرة، علماً بأن هناك كلاماً كثيراً لأشهر أئمة المالكية في هذا الأمر مما يجهز على ما جاء به هذا المجسم ويزهقه!! على أننا لسنا ملزمين لا بقول ابن رشد ولا بقول غيره وإنما غايتنا الوصول إلى الحق بالدليل! ولكن هذا الكلام من الجدّ يبطل كلام الحفيد ابن رشد ويجعل من سبقه ومنهم جدّه مخالفين له! لا سيما وابن رشد الحفيد من القائلين أيضاً بِقَدَمِ العالم كما في كتابه (فصل المقال) فهو رجل شاذ في اعتقاده.

الثاني: أن ابن تيمية الحرّاني شيخ المجسمة ذم ابن رشد الحفيد وإن تظاهر أحياناً بالاحتجاج بكلامه وإنما يسرد ابن تيمية كلام الحفيد ليؤيد ما يريد من التجسيم والتشبيه والجهة ونحوها، ومن نماذج ذم ابن تيمية لابن رشد الحفيد:

أ- قال ابن تيمية في "بيان تلبيس الجهمية" (٢/ ١٦٨-١٦٩):

[وأما عقلاء هذه الطائفة الباطنية مثل ابن رشد هذا وأمثاله فإنهم إنما يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات... مع أنهم في التزام الأعمال الشرعية مضطربون لما في قلوبهم من المرض والنفاق..].

ب- وقال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣٤ /): [حدّثوا الناس بما يعرفون... قد حمّله أبو الوليد ابن رشد الحفيد الفيلسوف وأمثاله على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات . وهذا تحريف ظاهر].

فابن رشد الحفيد الذي استدل بقوله هذا المشبه المجسم متخاطب مضطرب العقيدة

محرف بشهادة ابن تيمية شيخ هؤلاء الملبسين المساكين في الحقيقة.

ج- ابن رشد الحفيد لم يكن يقول بالجهة على التحقيق وإنما ملخص أمره أنه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام وجعلهم فرقتين، فالفرقة الأولى هي عوام الناس ومعهم القسم الثاني وهم المتكلمون ممن لم يبلغوا المرتبة العليا في الفلسفة وهؤلاء - بنظره وحسب ما يرى - ينبغي أن تطرح لهم العقيدة بثوب التجسيم والتشبيه والجهة لأنهم لا يفهمون غيرها في التحقيق بنظره، والفرقة الثانية: وهم القسم الثالث سماهم أهل البرهان وهم من وصلوا إلى أعلى المراتب في الفهم والفلسفة وهو يُعَدُّ نفسه منهم فهؤلاء لا يعتقدون الجهة والتجسيم والتشبيه. وقد ذكر ابن تيمية هذا عنه فقال في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨) ما نصه: [وابن سينا وأمثاله، لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية، بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك مسلك التخييل، وقال: إنه خاطب الجمهور بما يخيل إليهم، ومع علمه أن الحق في نفس الأمر ليس كذلك. فهؤلاء يقولون: إن الرسل كذبوا للمصلحة. وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية، فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم إلى التلبيس والإضلال، والذين أقروا بأنهم بينوا الحق قالوا: إنهم كذبوا للمصلحة].

وفي هذا القول من ابن تيمية في وصف ابن رشد أشد الذم بوصفه بأنه يقول بكذب الأنبياء! أفبمثل قول هذا يا أيها المجسمة المشبهة تؤيدون كلامكم وتنصرونه؟!

وعلى كل حال فلينقعو كلام ابن رشد وابن تيمية وليشربوا ماء تلك النقاعة! عسى أن يشفوا من اللف والدوران الفارغ!

ثم قال هؤلاء المجسمة محاولين التلبيس على المالكية:

[قال سعيد بن عامر الضبيعي إمام أهل البصرة على رأس المائتين وذكر عنده الجهمية فقال: هم شرّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله فوق السموات على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء].

والجواب عليه:

أن هذا من جملة الأكاذيب على الضبعي، مع أن كلام سعيد بن عامر الضبعي هذا ليس من الحجج الشرعية، وهذا أورده الذهبي في "العلو" (النص رقم ٣٩٥) وقال:

[قال عبدالرحمن بن أبي حاتم، نا أبي، حُدِّثْتُ عن سعيد بن عامر الضبعي أنه ذكر الجهمية فقال: هم شر قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على شيء].

وقلت في التعليق عليه: لا يثبت هذا عن الضبعي!! لأن إسناده منقطع، فأبو حاتم قال: (حُدِّثْتُ) وهذا يعني أن هناك من حدثه بذلك ولم يذكر مَنْ حَدَّثَهُ فهو سند مجهول منقطع! فالانقطاع فيه بين أبي حاتم الرازي وسعيد بن عامر!! مات سعيد بن عامر سنة ٢٠٨ هـ. وقال الذهبي نفسه في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٦٧) أن أبا حاتم الرازي ولد سنة ١٩٥ هـ وأول ما كتب الحديث سنة ٢٠٩ هـ أي بعد وفاة سعيد بن عامر بسنة!! فهكذا تكون صناعة الأقوال (وفبركتها) وهكذا يكون الاستدلال!! والله المستعان!! والمتناقض!! سكت على هذا!! في "مختصر العلو" ص (١٦٨) ولم يُعَلِّق عليه بشيء تدليساً!

ثم قال هؤلاء المشوشون محاولين التليس على المالكية:

[الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي (تلميذ الإمام مالك، ت ١٩١ هـ) يصرح بإثبات الصوت لله تعالى ويكفر من خالف ذلك. وقال ابن القيم في الصواعق المرسلة: (وكذلك ابن القاسم صاحب مالك صرح في رسالته في السنة أن الله يتكلم بصوت وهذا لفظه: (والإيمان بأن الله كلم موسى بن عمران بصوت سمعه موسى من الله تعالى لا من غيره، فمن قال غير هذا أو شك فقد كفر) حكى ذلك ابن شكر في الرد على الجهمية عنه].

والجواب عليه:

هذا الذي ذكره كله لم أجده في كتاب ابن قيم الجوزية "الصواعق المرسلة". ولم أجد كتاباً اسمه "الرد على الجهمية" لابن شكر!! فليبرزوه لنا لندرد عليه؟ ويبقى هذا من الأكاذيب حتى يثبتوه عن قائله!

وتقدّم في "سير أعلام النبلاء" (٨/ ١٠٣): [قال ابن القاسم: سألت مالكاَ عَمَّنْ حَدَّثَ

بالحديث، الذين قالوا: «إِنَّ الله خلق آدم على صورته» والحديث الذي جاء: «إِنَّ الله يكشف عن ساقه» «وأنه يُدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد» فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يحدث بها أحد، فقليل له: إِنَّ ناساً من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هو؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالمًا. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات [انتهى.

فابن القاسم هنا ينقل عن إمامه مالك رحمه الله تعالى أن لا يحدث بأحاديث الصفات!

ثم قال هؤلاء المجسمة محاولين التلبس على المالكية:

[وقال ابن خويز منداد المالكي (ت ٣٩٠هـ): "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكلُّ مُتَكَلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تُقْبَلُ لهم شهادة في الإسلام ويُهَجَرُ ويُؤَدَّبُ على بدعته فإن تَمَادَى عليها استتيب منها". جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩٥)].

والجواب عليه:

أن ابن خويز منداد مطعون به عند المالكية ونصوا على أنه ينقل شواذ عن الإمام مالك رحمه الله تعالى!

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان" (٥/ ٢٩١ من الطبعة الهندية) و(٥/ ٣٢٩ من طبعة دار الفكر) ما نصه :

[عنده شواذ عن مالك، واختيارات وتأويلات لم يعرَّج عليها حذاق المذهب كقوله إن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار وأن خبر الواحد مفيد العلم... وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي ولم يكن بالجيد النظر ولا بالقوي في الفقه وكان يزعم أن مذهب مالك أنه لا يشهد جنازة متكلم ولا يجوز شهادتهم ولا مناكحتهم ولا أماناتهم، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً] انتهى كلامه الحافظ ابن حجر.

فتأملوا!!

فتبين صريحا أن ابن خويز منداد - الذي جاء به هؤلاء المجسمة ليجعلوه ممثلاً ومندوباً عن السادة المالكية في الحكم على الأشاعرة - ساقط عند علماء الجرح والتعديل الذي

يمثلهم كتاب "لسان الميزان" للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وساقط أيضاً عند علماء المالكية الذين طعنوا فيه كالإمام الباقي والحافظ ابن عبد البر المالكيين!!

ثم قال هؤلاء القوم محاولين التلبيس على المالكية:

[وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير ت ٣٨٦هـ): "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما تؤسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها...].

والجواب عليه:

قال الذهبي معلقاً على هذه الكلمة في كتابه "العلو" عند ذكر ابن أبي زيد: [وقد نقموا عليه في قوله (بذاته) فليته تركها].

ومن المعلوم أن شراح الرسالة حاولوا الاعتذار له عن تلك الكلمة ما بين تكذيبها وتأويلها. لكن قال أكابر أهل العلم كالعلامة العيني الحنفي في "عمدة القاري شرح البخاري" (١٩٩/٧) عند الكلام على حديث النزول:

[احتج به قوم على إثبات الجهة لله تعالى وقالوا هي جهة العلو، وممن قال بذلك ابن قتيبة وابن عبد البر، وحكي أيضاً عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، وأنكر ذلك جمهور العلماء لأن القول بالجهة يؤدي إلى تحيز وإحاطة وقد تعالى الله عن ذلك].

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١٩٠/٦٠٧) في ترجمة ابن الزاغوني عند قول ابن الزاغوني (عال على العرش الرفيع بذاته): [قد ذكرنا أن لفظة (بذاته) لا حاجة إليها، وهي تشغب النفوس، وتركها أولى، والله أعلم].

وبهذا تذهب احتجاجات هؤلاء المشوشين وتلبساتهم أدراج الرياح!!
ويظهر فساد احتجاجاتهم فيما ذكرناه!

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وكان الفراغ من كتابة هذا في السادس من رجب سنة ١٤٤٤هـ

ويوافق في التاريخ ٢٨/١/٢٠٢٣م

والحمد لله رب العالمين